كلية الآداب
جامعة دمياط
الفرقة الثانية

الفكر النقدي لابن قتيبة
في
الشعر والشعراء

إعداد
د/ رضا العزب

التعريف بابن قتيبة:

1- قرين الجاحظ في سعة الثقافة وشمولها، وندده في الذود عن مبادئه والنضال دونها:

2- هو ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم.

3- ولد في بغداد أو الكوفة على خلاف في ذلك، عام 213هـ لأب فارسي أصله من مرو.

وعلى فرض أنه وُلِدَ بالكوفة فإنّ إقامته بها كانت قصيرة ، إذ ما لبث أن فارقها إلى دار السلام ، فى وقت بلغت فيه عاصمة بنى العباس قدراً عاليًا من التحضّر ، على نحو كانت تجمع فيه بين الشىء ونقيضه ، وتبلغ القمّة فى كليهما . وفيها درس على إسحاق بن راهويه ، ومحمد بن زياد الزيادى ، وأبى حاتم السجستانى ، وآخرين . واتصل بالعلماء والأدباء وغشى ندواتهم ، وحضر مجالس المتكلّمين وأعجب بها . وأنفق الشطر الأكبر من حياته فى بغداد ، يطلب العلم ، ويتولى التدريس ، ويعكف على التصنيف ، وتركها لمدّة قصيرة ، عمل فيها قاضيًا بـ ..... دينور ، ولكنه ضاق بقيود الوظيفة كما ضاق بها الجاحظ من قبل ، « لأن أولئك - الموظفين - لباسهم الذّلة ، وشعارهم الملق ، وقلوبهم ممن لهم خول مملوءة ، قد

ابن قتيبة علمه وأدبه:

كان ابن قتيبة ، فيما يقول ابن النديم ، « عالمًا باللغة والنحو ، وغريب القرآن ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتآليف » .. وتاق منذ صغره إلى أن يكون أديبًا ، بمفهوم الأدب على أيامه ، فهو يحدّث عن نفسه : « كنت فى عنفوان الشباب ، وتطلّب الآداب ، أحب أن أتعلّق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم » ..ويزيد الأمر وضوحاً : « من أراد أن يكون عالمًا فليطلب فنًا واحداً ، ومن أراد أن يكون أديبًا فليتسع فى العلوم » . وقد اتسع معها ما واتته إمكانات الحياة ، فدرس الفارسية وأجادها ، وقرأ التوراة والإنجيل واقتبس منهما ، وكان ملمًّا بالفلسفة فهو ينقل عن أرسطو صاحب الفلسفة ، ويقول صراحة : « قرأت فى كتب العجم والهند واليونان » . وأخذ بحظ وافر من النزاع العقيدى الذى لفّ عصره ، ولزم جانب أهل السنة ونافح عنها ، وكان لها ما كان الجاحظ للمعتزلة .

أخلاقه

هذا العلم الواسع أكسبه ورعًا وتواضعًا ، فكان حسن العشرة ، موطأ الأكناف عفّ الخصومة ، مع اعتداد بالنفس ، وترفع عن الدنايا ، فلم يؤثر عنه أنه تعلق بأحد من أصحاب الجاه أو السلطان ، والصلة الوحيدة التى نعرفها له من المصادر التى تحدثت عنه ، صداقته للوزير أبى الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل وابنه المعتمد ، وأهدى إليه كتابه « أدب الكاتب » . وفى غير نطاق الدين كان معتدل الرأى ، روى عن الكوفيين ، وأخذ عن البصريين ، وخلط بين المذهبين ، وكان واحداً من أئمة المدرسة البغدادية ، وكانت تقوم على المزج بينهما .

مصنفاته:

كانت تآليفه صورة صادقة لثقافته ، فجاءت متنوّعة تشمل أغلب معارف عصره ، وذكر له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتابًا ، ويرتفع بها بعضهم إلى ستين ونيّف ، وبلغ بها آخرون ثلثمائة ، وهو رقم يبدو لى أن أصحابه خلطوا بين أسماء الكتب نفسها ، وبين أسماء الفصول التى تحتويها الكتب الكبيرة ، وكان يطلق عليها أحياناً اسم « كتاب » ، كما فى « معانى الشعر الكبير » فهو يحتوى على اثنى عشر كتابًا ، أى فصلا ، ومناطق اهتمامات هذه الكتب القرآن والحديث ، والنحو واللغة ، والأدب من شعر ونثر وأمثال والتاريخ والآداب الاجتماعية وغيرها .

- **كتب ابن قتيبة المطبوعة والبالغ عددها 14 كتابا هي:**

1--عيون الأخبار **2 - الشعر والشعراء**

3 - أدب الكاتب **4- المعارف**

5-المعاني **6 -تأويل مختلف الحديث**

7-الأشربة **8 - الرد على الشعوبية**

9-مشكل القرآن **10-الميسر والقداح**

11-الإمامة والسياسة **12- المسائل والأجوبة في الحديث**

13-الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمي **14- تفسير سورة النور**

الشعر والشعراء

حول عنوان الكتاب

ولم تتفق المصادر التى تحدثت عن الكتاب ومخطوطاته على « عنوانه » فهو عند ابن النديم « الشعر والشعراء » ، وفى ملاحظة على كتاب « المحاسن والأضداد » ، للجاحظ ذُكر باسم « أخبار الشعراء » ، ويسميه ابن قتيبة فى « المعارف » كتاب الشعراء ، وفى « عيون الاخبار » كتاب الشعر ، وعنوان مخطوطة بيروت « ديوان الشعر والشعراء » ، ومخطوطات القاهرة الثلاث ، واحدة تسميه « الشعر والشعراء » والأخريان عنوانها « طبقات الشعراء » . وعلى هامش مخطوطتى برلين وليدن « كتاب طبقات الشعراء » ، ويلاحظ المستشرق ألورد Ahlwardt أن الشعراء فى الكتاب ، برغم أنهم غير مرتبين بدقة فى طبقات ، مقسمون بحسب قدرة الشاعر الفنية ، أو بحسب القبائل ، وإذن يكون عنوان « طبقات الشعراء » مناسباً للكتاب ، وملاحظة ألورد غير دقيقة ، فالقدرة

فالقدرة الفنية غير واردة في منهج المؤلف، «والشعر والشعراء» أدق تعبيرا عن مادة الكتاب، ودراسته لكل جانب منهما مستقلة حتى لتكاد تصبح كتابا قائما بنفسه، ويخيل إلي والكتاب بعض ما ألف ابن قتيبة في أواخر حياته، أن كلا منهما كان نواة مؤلف مستقل ولم تواته الفرصة ليمضي إلى غايته كاملة، فجمع بينهما برغم تباعد المنهج والمادة، فهو في الأول مبدع ناقد، وفي الآخر راوية مؤرخ. ويعزز رأيي هذا أنه يشير إليه في بعض مؤلفاته الأخرى باسم «كتاب الشعر» على حين يحيلنا في مؤلف آخر إلى كتاب «الشعراء»

منهجه في الكتاب

فصّل ابن قتيبة منهجه فى دراسته ، وهو أول منهج يصلنا فى العربية على هذا القدر من الوضوح ، ففيه حديث عن مادة الكتاب ، وغاية المؤلف ، ووسيلته إلى هذا الهدف ، فمادته « عن الشعراء وأزمانهم ، وأقدارهم ، وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم . وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى ألفاظهم أو معانيهم ، وما سبق إليه المتقدّمون فأخذه عنهم المتأخرون » .

« وأخبرتُ - الضمير يعود على ابن قتيبة - فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ويستحسن لها » .

« وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء ، الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب ، والذين يصحّ الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

موقف المؤلف من الشعراء المغمورين وضحه بقوله

- يوضح ابن قتيبة موقفه من المغمور من الشعراء بقوله:

« فأمّا من خفِي اسمه ، وقلّ ذكره ، وكسد شعره ، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواصّ ، فما أقلَّ من ذكرتُ من هذه الطبقة ، إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل ، ولا أعرف لذلك القليل أيضًا أخباراً ، وإذ كنت أعلم أنه لا حاجة بك إلى أن أسمّي لك أسماء لا أدلُّ عليها بخبر أو زمان ، أو نسب أو نادرة ، أو بيت يستجاد ، أو يستغرب » .

اعتذار المؤلف عن عدم إحاطته بالشعراء:

- يوضح المؤلف أنه لن يلم بجميع الشعراء كما قد يظن ظان أو يتوقع متوقع فيقول:

٤ ● ولعلَّكَ تظنُّ – رحمك الله – أنَّه يجبُ على من ألَّفَ مثلَ كتابنا هذا ألَّا يدَعَ شاعرًا قديماً ولا حديثاً إلَّا ذكره ودَلَّك عليه ، وتُقَدِّرُ أن يكون الشعراءُ بمنزلةِ رُواةِ الحديثِ والأَخبارِ ، والملوكِ والأَشرافِ ، الذين يَبْلغُهم الإحصاءُ ، ويَجمعهم العددُ .

٥ ● والشعراءُ المعروفون بالشعر عندَ عشائرهم وقبائلهم[١] فى الجاهليَّة والإسلام ، أكثرُ من أن يُحِيطَ بهم مُحِيطٌ. أو يقف من وراء عددِهم واقِفٌ ، ولو أنفدَ عُمْرَه فى التنقير عنهم ، واستفرغَ مجهودَه فى البحثِ والسؤالِ . ولا أَحْسِبُ أحدًا من علمائنا استغرقَ[٢] شعرَ قبيلة حتَّى لم يَفُتْه من تلك القبيلة[٣] شاعرٌ إلَّا عَرَفَه ، ولا قصيدةٌ إلَّا رَوَاها .

موقفه ممن غلب عليه غير الشعر

١١ ● قال أبو محمَّد : ولم أعْرِضْ فى كتابى هذا لمن كان غَلَبَ[١] عليه غيرُ الشعر . فقد رأينا[٢] بعضَ مَن ألَّفَ فى هذا الفنِّ كتاباً يذكر فى الشعراء مَن لا يُعْرَفُ بالشعر ولم يَقُلْ منه إلَّا الشَّذَّ[٣] اليسيرَ ، كابنِ شُبْرُمَةَ القاضى[٤] ، وسُلَيْمانَ بنِ قَتَةَ التَّيْمِىِّ المحدِّثِ[٥]. ولو قَصَدْنا لذكر مثل هؤلاءِ[٦] فى الشعر لذكرنا أكثرَ الناس ، لأنَّه قلَّ أحدٌ له أدنَىٰ مُسْكة من أدب ، وله أدنىٰ حظٍّ من طَبْعٍ ، إلَّا وقد قال من الشعر شيئاً . ولاحتجنا أن نذكُرَ صحابةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجِلَّةَ التابعين ، وقوماً كثيرًا من حَمَلَةِ العلم ، ومن الخلفاءِ والأشرافِ ، ونَجعلَهم فى طبقات الشعراء.

قضية الصراع بين القديم والحديث

إذا كان ابن سلام قد عالج في كتابه قضية الانتحال في الشعر فإن ابن قتيبة بالمقابل تطرق لقضية الصراع بين القديم والحديث من الشعر وموقف النقاد وأهل الأدب في ذلك ووضح موقفه من هذه القضية بقوله:

١٢ ● ولم أَسْلُك ، فيما ذكرتُه من شعر كلّ شاعر مختارًا له ، سبيلَ مَن قَلَّد ، أو استَحْسنَ باستحسانِ غيره . ولا نظرتُ إلى المتقدِّم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأَخِّر (منهم) بعين الاحتقار لتأَخُّره . بل نظرتُ بعين العدلِ على الفريقين ، وأعطيتُ كلاًّ حظَّه ، ووفَّرْتُ عليه حقَّه .

١٣ ● فإنى رأيتُ مِن علمائنا مَن يستجيدُ الشعرَ السخيفَ لتقدُّم قائله ، ويَضَعُهُ فى مُتَخَيَّرِه ، ويُرْذِلُ الشعرَ الرصينَ ، ولا عيبَ له عنده إلَّا أنَّه قيلَ فى زمانه ، أو أنَّهُ رأى قائلَه .

١٤ ● ولم يَقصُرِ اللهُ العلمَ والشعرَ[١] والبلاغةَ على زمن دون زمن ، ولا خَصَّ به قوماً دونَ قومٍ ، بل جَعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عبادِه في كلِّ دهر ، وجَعل كلَّ قديمٍ حديثاً في عصره ، وكلَّ شرفٍ خارجيّةً[٢] في أوّله ، فقد كان جَريرٌ والفَرَزْدَقُ والأَخْطَلُ وأمثالُهم يُعَدُّون مُحْدَثِينَ . وكان أبو عَمرِو ابنُ العَلاءِ يقول : لقد كَثُر هذا المحدَثُ وحَسُنَ حتّى لقد هممتُ بروايته .

١٥ ● ثمَّ صارَ هولاءِ قُدَماء عندنا ببُعْدِ العهدِ منهم ، وكذلك يكونُ من بعدهم لمَن بعدَنا ، كالخُرَيميّ والعَتّابيّ والحسن بن هانئٍ وأشباهِهم . فكلُّ مَن أتىٰ بحسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه (له) ، وأثنينا به عليه ، ولم يَضَعْهُ عندنا تأخُّر قائله أو فاعلِه ، ولا حداثَةُ سِنِّهِ . كما أنَّ الرّديءَ إذا ورد علينا للمتقدِّم[٣] أو الشريف لم يرفعه عندنا شرفُ صاحبه ولا تقدُّمُه .

أقسام الشعر عند ابن قتيبة:

قسم ابن قتيبة الشعر إلى أربعة أقسام:

1- ضرب حسن لفظه وجاد معناه:

كقول القائل في أحد بني أمية:

بِكَفّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ من كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شمَمُ
يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ.

وقال ابن قتيبة: لم يقل في الهيبة شيء أحسن منه.

وكقول أوس بن حجر:

أيتهـــا النـــفس أجملي جزعا إن الذي تحـــذرين قـد وقعا

فقال ابن قتيبة: لم يبتدئ أحد مرثية بأحسن من هذا

وقول أبي **ذؤيب الهذلي**:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تـــرد إلى قليـــل تقنع

ونقل ابن قتيبة عن الأصمعي قوله: هذا أبدع بيت قاله العرب.

2- وضرب منه حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى:

كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشُدَّت على حُدبِ المَهارى رحالنا ولا ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

فيقول ابن قتيبة معلقا: هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح.

- **وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه:**

كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتَبَ الحُرَّ الكَريمَ كَنَفسِهِ وَالمَرءُ يُصلِحُهُ الجَليسُ الصالِحُ.

فيقول: هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق.

- **ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه:**

ويمثل ابن قتيبة لذلك قائلا: كقول الخليل بن أحمد العروضي:

إن الخليط تصدع فطِر بدائك أو قع

لولا جوار حسان حور المدامع أربع

أم البنين وأسماء والرباب وبوزع

لقلت للراحل ارحل إذا بدا لك أو دع

وهذا الشعر بين التكلف رديء الصنعة ... ولو لم يكن في هذا الشعر إلا «أم البنين» و«بوزع» لكفاه!

رأي ابن قتيبة في شعر العلماء

- يصرح ابن قتيبة برأيه في أشعار العلماء بعد أن علق على بيت الخليل ابن أحمد السابق ووصفه بالتكلف ورداءة الصنعة فيقول:
- وكذلك أشعار العلماء، ليس شيء فيها جاء عن إسماح وسهولة، كشعر الأصمعي، وشعر ابن المقفع، وشعر الخليل، خلا خلف الأحمر؛ فإنه كان أجودهم طبعا، وأكثرهم شعرا...

التحذير من مخالفة نهج القصيدة

٥٧ ● وليس لمتأخرِ الشعراء أنْ يَخرجَ عن مذهب المتقدّمين فى هذه الأقسام ، فيقفَ على منزلٍ عامر ، أو يبكىَ عند مُشَيِّدِ البنيان ، لأنَّ المتقدّمين وقفوا على المنزل الداثر ، والرسم العافِى . أو يرحلَ على حمارٍ أو بغلٍ ويصفَهما ، لأنَّ المتقدّمين رَحَلوا على الناقة والبعير . أو يَرِدَ على المياه العِذَابِ الجوارى ، لأنَّ المتقدّمين وَرَدوا على الأواجِنِ الطَّوَامِى . أو يقطعَ إلى الممدوح منابتَ النرجسِ والآسِ والورد ، لأنَّ المتقدّمين جَرَوْا على قطع منابت الشيح والحَنْوةِ والعَرَارَةِ[1] .

كيف توازن بين قولي ابن قتيبة ؟

- القول الأول:« ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوم دون قوم بل جعل ذلك مقسوما مشتركا بين عباده في كل دهر...»
- القول الثاني: « وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام»

الموازنة

ويرى ابن قتيبة أنه « ليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين » فيما يتصل بشكل القصيدة ، لكنه يكره لهم أن يقلدوا القدامى فى المعانى والأخيلة ، أو يجددوا ما هو شر من التقليد ، كأن يقف الشاعر على منزل عامر ، أو يبكى عند بنيان مُشيّد ، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر ، والرسم العافى ، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما ، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير . أو يرد على المياه العذاب الجوارى ، لأن المتقدمين وردوا على الأواجن الطوامى ، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والآس والورد ، لأن المتقدمين جروا على قطع منابت الشيح والحنوةِ والعَرَارَة » .

التفريق بين المتكلف والمطبوع

- وفرق ابن قتيبة بين المتكلف والمطبوع من الشعراء فقال:

٦٢ ● فالمتكلِّفُ هو الذى قوَّم شعرَه بالثِّقَافِ ، ونقَّحه بطولِ التفتيشِ ، وأعادَ فيه النظرَ بعدَ النظرِ ، كزُهَيْرٍ والحُطَيْئَةِ . وكان الأَصْمَعىُّ يقول : زُهَيْرٌ والحُطَيْئَةُ وأشباهُهما[١] (من الشعراء) عَبِيدُ الشعرِ ، لأنهم نقَّحُوه ولم يذهبوا فيه مذهبَ المطبوعين . وكان الحُطَيْئَةُ يقولُ : خيرُ الشعر الحَوْلِىُّ المُنَقَّح المُحَكَّكُ . وكان زُهَيْرٌ يسمِّى كُبْرَ قصائدِه الحوليَّات[٢].

٦٣ ● وقال سُوَيْدُ بن كُراعٍ ، (يَذكُرُ تنقيحَه شعرَه)[٣] :

أَبِيتُ بِأَبْوَابِ القَوَافِى كَأَنَّمَا ... أُصَادِى بها[٤] سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعَا

أُكَالِئُهَا حَتَّى أُعَرِّسَ بَعْدَ ما ... يكُونُ سُحَيْرًا أَوْ بُعَيْدَ فأَهْجَعَا

إِذَا خِفْتُ أَنْ تُرْوَىٰ علىَّ رَدَدْتُهَا ... وَرَاءَ التَّرَاقِى خَشْيَةً أَنْ تَطَلَّعَا

وَجَشَّمَنِى خَوفُ ابْنِ عَفَّانَ رَدَّهَا ... فَثَقَّفْتُهَا حَوْلًا جَرِيدًا ومَرْبَعَا[٥]

- والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع، ووشي الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر.

دواعي الشعر

وتكلم عن الطبع والتكلف فى الشعر وعند الشعراء ، ودواعى الشعر « التى تحث البطئ وتبعث المتكلف » وعد منها خمسة : الطمع ، وَالشوق ، وَالشراب ، وَالطرب ، وَالغضب وقد أصاب حين ذكر هذه الدوَاعى ، لأن الانفعال وليدها ، أو يشتد معها وَيحتد ، وأصاب حين اتخذها مثلا وَلم يقصر الدوَاعى عليها ، لأن مظاهر الانفعال وَأسبابه عديدة ، إلا إذا فهمنا مدلول الألفاظ علىٍ نحو فضفاض يتسع لكل رغبات الإنسان وَنقائضها ، وَالنقائض انفعالات أيضًا ، ودلل على دعواه بعدد من تجارب الشعراء ، مثل الحطيئة ،وكثيِّر عزة ، والأحوص ، والشنفرى ، وَغيرهم . وَمن ثَمَّ فإن الشعر - وكل ضروب النثر - يقرب ويَبعد تبعًا لانفعال الشاعر ، وَالانفعال لا يأتى حين يريده المرء ، ولا حيلة له فىَ دفعه إذا جاء ، وبقدر عمق الانفعال ، وصدق التعبير عنه ، تختلف أشعار ورسائل الكتاب

- **تحدث ابن قتيبة عن دواع تبعث الشعر فقال**

٦٥ ● وللشعرِ دواعٍ تحث البطيء وتبعثُ المتكلِّفَ ، منها الطمعُ ومنها الشوقُ ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب .

٦٦ ● وقيل للحُطَيْئَة ، أيُّ الناسِ أشعرُ[١] ؟ فأخرج لساناً دقيقاً كأنَّه لسانُ حيَّة ، فقال : هذا إذا طمع .

٦٧ ● وقال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوبَ الخُرَيْميّ : مداعبك لمحمَّد بن مَنْصُور بن زِيَاد ، يعني كاتبَ البرامكةِ ، أشعرُ من مراثيك فيه وأجود ؟ فقال : كنَّا يومئذ نعملُ على الرجاء ، ونحن اليومَ نعملُ على الوفاء ، وبينهما بَوْنٌ بعيد[٢] .

كما يستشهد على ذلك بقوله:

٧٢ ● وقال عبدُ الملك بن مَرْوانَ لأَرْطاةَ بن سُهَيَّةَ : هل تقول الانَ شعرًا ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضبُ ، وإنما يكونُ الشعر بواحدة من هذه[١] .

وقال في أثر الطبيعة على استثارة القريحة لدى الشاعر:

٦٩ ● وقيل لكُثَيِّرٍ : يا أبا صَخْرٍ كيف تصنعُ[٣] . إذا عَسُرَ عليك قولُ الشعر ؟ قال : أطُوف فى الرِّباع المخلية والرياض المعشبة ، فيسهلُ علىَّ أرصَنُه ، ويُسرعُ إلىَّ أحسنُه .

٧٠ ● ويقال أيضاً إنَّه لم يُسْتَدْعَ[٤] شاردُ الشعر بمثل الماء الجارى والشرَف العالى والمكان الخَضِرِ الخالى .

والشعر لا يواتي الشاعر في كل حين فهناك حالات يصعب فيها ويبعد ذكرها ابن قتيبة ووضح أسبابها فقال:

٧٤ ● وللشعر تارات[٦] يبعد فيها قريبُه ، ويَستصعِبُ (فيها) رَيِّضُه . وكذلك الكلامُ المنثور فى الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذّر على الكاتب الأَديب وعلى البليغ الخطيب . ولا يُعْرَف لذلك سببٌ[٧] ، إلّا أن يكونَ من عارض يعْترِضُ[١] على الغَريزةِ من سُوءِ غذاءٍ أو خاطِرِ غَمٍّ .

٧٥ ● وكان الفَرَزْدَقُ يقول : أنا أشعرُ تَمِيمٍ (عند تَمِيمٍ) ، وربما أَتَتْ علىَّ ساعةٌ ونزعُ ضرس أسهلُ[٢] علىَّ من قولِ بيتٍ .

ولهذه العلل تختلفُ أشعارُ الشاعرِ ورسائلُ الكتاب .

وقالوا فى شعر النابغة الجَعْدىّ : خِمَارٌ بِوَاف ومطْرَفٌ بآلاف

يؤكد ابن قتيبة على أهمية السماع لمعرفة الشعر قائلا:

٨٢● وكلُّ علمٍ[١] محتاجٌ إلى السماع . وأحوجُه إلى ذلك علمُ الدين ، ثمَّ الشعرُ ، لما فيه من الألفاظِ الغريبة ، واللُّغاتِ المختلفة ، والكلامِ الوحشيّ ، وأسماءِ الشجرِ والنباتِ والمواضعِ والمياهِ . فإنَّك لا تَفْصِلُ فى شعر الهُذَلَيِّين إذا أنت لم تسمعه بين «شَابَةَ» و «سَايَةَ» وهما موضعان[٢] ،

علامات يعرف بها التكلف في الشعر

- يعرف الشعر المتكلف عند ابن قتيبة ببعض العلامات؛ منها:
- **كثرة الضرورات: كقول الفرزدق:**

وعَضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ مِنَ المَالِ إلّا مُسْحَتاً أوْ مُجَلَّفُ (٢)

فرَفَع آخرَ البيتِ ضرورةً ، وأتعب أهلَ الإعراب فى طلب العلّةِ (٣) ، فقالوا وأكثروا ، ولم يأتوا فيه بشىء يُرْضَى (٤). ومَن ذا يخفَى عليه من أهل النظر أنَّ كلَّ ما أتوا به من العلل احتيالٌ وتمويهٌ ؟! وقد سأل بعضُهم الفَرَزْدَقَ عن رفعه إيّاه فشتمه وقال : علىَّ أن أقولَ وعليكم أن تَحتجُّوا !

- حذف ما بالمعاني حاجة إليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه، كقول القائل:

مِنَ اللَّوَاتِى والتى واللَّاتِى زَعَمْنَ أنى كَبِرَتْ لِدَاتِى

- اقتران البيت بغير جاره, ويقول ابن قتيبة في ذلك:

١٠٣ ● وتتبيّنُ التكلُّفَ فى الشعر أيضاً بأن تَرَىٰ البيتَ فيه مقروناً بغير جارِه ، ومضموماً إلى غيرِ لِفْقه ، ولذلك قال عُمرُ بن لَجَإٍ لبعض الشعراء : أنا أشعرُ منك ، قال : وبِمَ ذلك ؟ فقال : لأنى أقول البيتَ وأخاه ، ولأنَّك تقول البيتَ وابنَ عمِّه .

تفاوت طبع الشعراء باختلاف الغرض الشعري

- وفي ذلك يقول: «والشعراءُ أيضاً فى الطبع مختلفون : منهم[1] مَن يَسْهُلُ عليه المديحُ ويَعْسُر عليه[1] الهجاء . ومنهم من يَتَيَسَّرُ له[2] المراثى ويتعذَّرُ عليه الغَزَلُ .

وقيل للعَجَّاجِ : إنك لا تحسنُ الهجاء ؟ فقال : إنَّ لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ ، وهل رأيتَ بانياً لا يُحْسِنُ أن يَهْدِمَ[3] ؟

١١١ • وليس هذا كما ذكر العَجَّاجُ ، ولا المثلُ الذى ضربه للهجاء والمديح بشكل ، لأنَّ المديحَ بناءٌ والهجاءَ بناءٌ ، وليس كلُّ بانٍ بضربٍ بانياً بغيرِه[4] . ونحن نجدُ هذا بعينه فى أشعارهم كثيراً .

- **يمثل ابن قتيبة لهذا التفاوت بشعر ذي الرمة فيقول عنه:**

أحسنُ الناسِ تشبيهاً ، وأجودُهم تشبيباً ، وأوصفُهم لرَمْل وهاجرةٍ وفلاةٍ وماءٍ وقُرادٍ وحيَّةٍ ، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانَه الطبعُ . وذاك أخَّرَه عن الفُحولِ ، فقالوا : فى شعرِه أبعارُ غِزْلانٍ ونُقَطُ عَروسٍ !

عيوب الشعر:

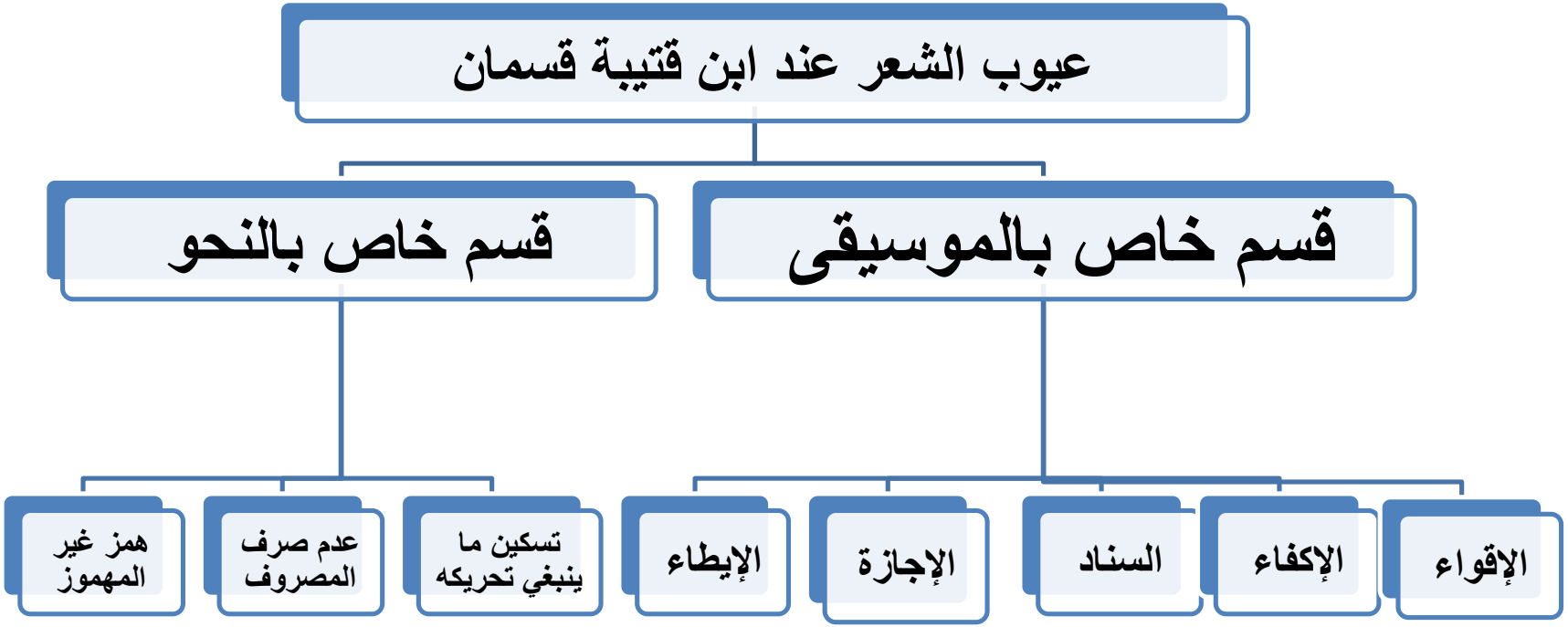
عيوب الشعر عند ابن قتيبة قسمان
قسم خاص بالموسيقى
قسم خاص بالنحو
الإقواء
الإكفاء
السناد
الإجازة
الإيطاء
تسكين ما ينبغي تحريكه
عدم صرف المصروف
همز غير المهموز

- **محتوى القسم:**
- **أوقف ابن قتيبة هذا القسم على الشعراء أنبائهم وما اتصل بهم من تاريخ وحكايات.**
- **عدد الشعراء:**
- **بلغ عدد الشعراء الذين ترجم لهم 206 شعراء بين جاهلي ومخضرم وإسلامي وبعض معاصريه من العباسيين، بدأهم بامرئ القيس وختمهم بالأشجع السلمي، ولم يترجم معهم لغير شاعرتين هما: الخنساء بنت الشريد، وليلى الأخيلية.**

منهجه في ترتيب الشعراء

- لم يلتزم ابن قتيبة منهجا معينا يسير عليه في ترتيب الشعراء لا من حيث الشهرة والنباهة ولا من حيث الأقدمية ولا حتى التزم ترتيبا أبجديا؛ بل سار في ترتيبه لهم على ما يمكن تسميته «تداعي المعاني»
- وقد تكون صلة القرابة أحد عوامل ترتيب الشعراء وهي إما قرابة أسرية كما فعل حين بدأ بامرئ القيس وثنى بزهير بن أبي سلمى ثم أدرج ابنه كعب بن زهير وقدمه على من هو أقدم منه وأجود منه، وقد تكون الصلة قبلية كما فعل حين عاقب بين شعراء هذيل الذين ترجم لاثني عشر شاعرا منهم على التوالي.

- وقد تكون القرابة الفنية سببا في إلحاق شاعر بشاعر فقد ترجم لشعراء النقائض متتابعين: جرير والفرزدق والأخطل، والأخطل أسنهم. ولما ترجم للعجاج الراجز وابنه رؤبة ترجم لبقية الرجاز الآخرين.
- وقد يكون الترتيب راجع إلى الاشتراك في حادثة أو تجربة معينة كما حدث حين ترجم لتوبة بن الحمير وكان أحد العشاق المشهورين ترجم بعده لصاحبته ليلى الأخيلية.
- وقد تكون الصداقة هي أحد الدواعي لترتيب الشعراء ترتيبا معينا كما في الترجمة للكميت ثم الطرماح لما بينهما من المودة والمخالطة.

وابن قتيبة لا يهتم عادة بتفسير لغويات النصوص التى يوردها ، ولا بشرحها ، وقد يعلّق عليها أحيانًا ، ينقد بعض ما يرويه ، لكن نقده يقوم على على التذوّق ، لا على التحليل والتعليل ، فإذا أورد قول المرقّش الأكبر :

هلْ بالديار أن تُجيبَ صَمَمْ لو أن حيًّا ناطقًا كَلَمْ
يأبى الشباب الأقْوَرينَ ولاَ تَغبِط أخاكَ أنْ يُقَال حكَمْ

علّق عليها : والعجبُ عندى من الأصمعىّ ، إذ أدخله فى مُتَخَيَّره ، وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروىّ ، ولا مُتَخَير اللفظ ، ولا لطيف المعنى ، ولا أعلم فيه شيئًا يستحسن إلا قوله :

النشْرُ مِسْكٌ والوجوه دَنَا نيرٌ وأطْرافُ الأكُفّ عَنَمْ

وقد يمهد لاختياره الأبيات بتعليق لا يتجاوز قوله : « ويستجاد من تشبيهه » أو « مما يستجاد من شعره » أو « ومما يعاب عليه من شعره قوله »

- من ذلك قوله في ترجمة جميل:

٧٥١ ● ومِمَّا يستجادُ له قولُه :

عَلِقْتُ الهَوَى منها وَلِيدًا فلم يَزَلْ ... إلى اليومِ يَنْمِي حُبُّهـا ويَزِيدُ

وأَفْنَيْتُ عُمْرِي بانْتظارِي نَوَالَها ... فبَلَّتْ بذاكَ الدَّهْرَ وهْوَ جَدِيدُ(٢)

- وكذلك قوله في شعر النابغة

٢٩١ ● ومِمَّا يُعاب من شعره قولُه :

وقد أَتَنَاسَى الهَمَّ عِنْدَ احتضارِهِ بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّةُ مُكْدَمِ[١]

والصَّيعريَّةُ سِمَةٌ للنُّوق لا للفُحُول ، فجعلها لفحلٍ . وسمعه طَرَفَةُ وهو صبيٌّ ينشدُ هذا ، فقال : « اسْتَنْوَقَ الجملَ » ! فضحك[٢] الناسُ وسارت مَثَلا . وأتاه المتلمِّسُ فقال له : أَخرِجْ لسانَك ، فأَخرجه ، فقال : ويلٌ لهذا من هذا يريد : ويلٌ لرأسه من لسانه .

- كما أنه كان يكثر من المقارنة بين الأبيات متفردة، يستقصي ما أخذه اللاحقون من السابقين، ويقارن بين الاثنين ولا ينسى للمتقدم فضل السبق، وللمتأخر فضل الزيادة إن أجاد.
- فمن ذلك قوله في ترجمة النابغة الذبياني:

٢٦٥ ● ومما سَبق إليه ولم يُنَازَعْه قولُه[٢]:

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الذى هو مُدْرِكى وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأَى عنكَ واسِعُ

ومنه قوله في ترجمة طرفة بن العبد:

- **ومن ذلك قوله في ترجمة طرفة بن العبد:**

٣٠٧ ● وممّا سبق إليه طرفةُ فأُخذ منه قولُه يذكر السفينةَ :

يَشُقُّ حَبَابَ الماءِ حَيْزُومُها بها كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ المُفَايِلُ باليَدِ(٣)

أخذه لبيدٌ فقال :

تَشُقُّ خَمَائِلَ الدَّهْنَا يَدَاهُ كما لَعِبَ المُقامِرُ بالفَيَالِ

وأخذه الطِّرِمَّاحُ فقال :

وغَدَا تَشُقُّ يداه أوساطَ الرُّبا قَسْمَ الفَيَالِ تَشُقُّ أوسَطَه اليَدُ